مقتطفات من كتاب
شغفها حبا
محمد السالم



حدوتة كتاب

إليك...لأنك تعرف لماذا!؟

كبسولة خير للبرمجيات

مصطفى علي سيد

(أبو مهاب)

https://cap-khir.com

sedratalmontha@gmail.com



كان المطر يهطل حينها. قفز قلبي لقطراته كطفلٍ يلهو في سكة المطر. إن المطر دلالة العشق الأولى؛ عشق السماء للأرض، وماء الأمنيات المختبئة تحت غطاء الغيم. تبللني قطراته، فيمتص جسدي عذرية السماء وينبت كشتلة ياسمين على الأرض/ عشيقة السماء.

لماذا لم أكن معهم؟ لماذا أنجو لأعيش في غربةٍ لا تنتهي. لأعيش وحيدًا برأسٍ يطرق بين سنداني الحزن والوحدة. لو كنت معهم! جوف أرضٍ يجمعنا أجمل من سماء تفرقنا.

أعود بكِ للوراء حيث لاشيء سوى رجل يحبّكِ.

هل تبكي السماء؟ تساءلت.

هل المطر بكاء السماء؟ هل الرعد غضبها؟ أم تنهيدة حُبِست في صدر السماء حتى انهالت بهذه الهيئة المرعبة؟ هل الريح أنفاسها؟ والغيم أوكسجينها؟ و لَمَ يستبشر الإنسان ببكاء السماء؟ هل لأن نرجسيته تقتضي بأن يبني أفراحه على حزن الآخرين؟ ... لستُ أدري!

هذا إذًا ما تفعلينه؟ تكتبين لتلاقيني على ظهر ورقة؟

نعم .. لا! أعني حين أحتاجك أكتب لك. وذلك يحدث غالبًا. إلا أني أكتب أحيانًا أخرى لأجد نفسي التي تظهر بصورةٍ واضحة لا أقدر أن أخفيها حينما أعتزل العالم وأسامر القلم.

لا يدمرك، إلا شيءٌ تحبه!

الصداقة والحبّ. الأمران الوحيدان القادران على لملمة بعثرة الروح والجسد.

لحظتها. خرجت الصورة، لم تكن ملامحنا ضاحكة، و لم تكن ألوانها جيدة بما يكفي، إلا أن صورة معها كانت كافية لعمرٍ كامل

فلنلتقي إذًا على الورق. إن الكتابة فضاء اللقاءات المباحة، طريقٌ للخلاص من الألم، المكان الذي لا نحتاج فيه إلى موعد مسبق. كل صفحةٍ جديدة هي فضاءٌ جديد. كل سطر لقاء آخر. تخيل لو أنك تكتب لي كتابًا! سيكون بمثابة حياة كاملة. فقط جرب أن تكتب. أن تضخ مياه المشاعر المختلطة المتدفقة في داخلك إلى نبع الورقة. حينها ستنبت شجيرة صغيرة، وستكبر كلما سقيتها من كلماتك.

أو غنيًا وسيمًا. ألا تدري أن للمرأة فرصة وحيدة في الحبّ؟ وأن ما بعد تلك الفرصة ليس سوى محاولة عابثة في ترميم شروخ الذاكرة بلحظاتٍ جديدة، لكنها باهتة جدًا، لا لون لها. وأنا قد نلتُ فرصتي مسبقًا. أنت هي

أكنتُ مجنونةً حقًا لأتشبث برجلٍ تعجبني رائحته؟ أتكور في حضنه وأندس كما لو أنه معطفٌ دافئ؟ وصوتهُ، من شدّة رجولته، يشدُ قلبي كما لو أنه عصفورٌ يحبّ الغناء. وحين تصافح أصابعه خدي أرفرف!

إنك لا تعرف أخطاءك إلا عندما تكبر معك. حين تراها ترافقك، توقفك عن الحياة، تتغلب عليك في مواضع وتسحبك للخلف، حيث لا تريد أن تذهب مجددًا، في مواضع أخرى.

ماذا يمكنك أن تفعل آنذاك، غير أن تتمنى أن يعود كل شيء كما كان، أن تعود للحظة اقتراف ذلك الخطأ، أن تحظى بفرصةٍ أخرى للاختيار لتتمكن من تدارك الوطء فوق هذا اللغم الذي قد يكلفك خسائر لا تقوى عليها.

ينقصك فقط آلة زمن!

لم يكن أوسمهم، بل كان أكثرهم رجولة!

لم يكن أشدهم، بل كان ألطفهم!

لم يكن أفصحهم، بل كان أكثرهم صدقًا!

ولم يكن يقرأ، لكنه مستعد لأن يسرق لي مكتبات الدنيا كلها!

هل كنتُ حمقاء بما يكفي لأحمله طيلة هذه السنين؟ أذكر وجهه الأسمر، يا تُرى كيف غيرته التجاعيد الآن؟ شعره هل كساه البياض أم لازال أسودَ كغطاء الليل؟ أشياء كثيرة أجهلها عنه، ولا أعرف سوى أمر وحيد، أني لازلت أحبّه.

أخبريه عني، عن تعبي، عن كل الأشياء السيئة التي تحدث لي في غيابه، عن كل الأشياء الجميلة التي أخبئها حتى يحين موعد عودته. أخبريه أنه كان لا يجعلني أنتظر، كان دائمًا سباقًا لهذا الحبّ، ولكنني الآن أنتظره بوجهٍ حزين لن يقوى على الحياة دونه. أخبريه أنه المطر، وأني جافة وجارحة كزهرة صبار، ولم أكن معه غير وردةٍ ندية. أيتها الشمس، أريد مطر. أعيدي لي مطر

(لوجهك غوايةٌ كنت أجهلها)

حينما تترك قلبك يعيش ما يتمناه من شعور فقط؛ فإنك تضعه أمام زناد الموت عندما يأتي القضاء بما لا يشتهي.

وإن كنتُ سأصبح حكيمًا الآن وأنا أكتب كل هذه الفوضى، فإني أخبرك بشيء واحد: احذر الليلة التي تنام فيها سعيدًا!

إن أقسى ما يمكن أن تشعر به أن تكون فارغًا من كل شيء ما عد الانتظار، أن تشعر بأنك لا تعيش قدرك، بل قدرًا آخر أصابك عن طريق الخطأ ولا تجد أحدًا يمكنه أن يفهم ما تمر به أو أن يعيد لك قدرك الضائع.

تملصتُ من أن أشاركه القدر ذاته. كلّ ما كنا نريده هو وقت إضافي لنحصل على نهاية أفضل كما ظننّا، لكن الوقت يخونك حينما لا تحسن معاملته، يصفعك بما كنت تخشى قدومه، ويقلب موازين حياتك في ثوانٍ قليلة.

هل كنتُ وفيةً؟ لقد أعطيته عمري، بأيامهِ وأعوامهِ منذ أن تلاقينا. لقد أعطيته عينيّ، ألا يكفي أنيّ عشتُ في العتمة، حين لم يكن يصلُني ضياءه؟

الشيخ محمد الغزالى رحمة الله عليه.
إن الله قد يقبل نصف الجهد في سبيله و لكنه لا يقبل نصف النية
إما أن يخلص القلب كله له ، و إما أن يرفضه كله

هل تبكي السماء؟ تساءلت.
هل المطر بكاء السماء؟ هل الرعد غضبها؟ أم تنهيدة حُبِست في صدر السماء حتى انهالت بهذه الهيئة المرعبة؟ هل الريح أنفاسها؟ والغيم أوكسجينها؟ و لِمَ يستبشر الإنسان ببكاء السماء؟ هل لأن نرجسيته تقتضي بأن يبني أفراحه على حزن الآخرين؟ ... لستُ أدري!

مالا يمكن للرجل – رغم اكتمال عقله– أن يدركه أ
هناك أنثى تدفن نفسها كما لو أنها بذرة، فقط لأجل أن ينبت هـ
الحبّ. إن امرأةً وفيّة يمكن أن تهبك ألف حياة حتى في غيابك
كما أن امرأة خائنة يمكن أن تعطيك ألف موتةٍ وهي تنظر لعينيك
مباشرة.



قالت لي أمي، حين رأتني أعبر للعتمة:

كل امرأةٍ تخسر الحياة لأجل رجل، تستحق أن تموت وحيدةً.

ما أصدقكِ يا أمي! لقد تطلب الأمر مني أكثر من عشرين عامًا لأدرك حماقتي.

ذنبي أنيّ لا أتنبأ بما يمكن أن يحدث، لا أحبّ لعبة الاحتمالات ولا أعلم طريقًا للقدر سوى ما يختاره لي . لكني وقعت هذه المرة، وقوعًا لم أقدر أن أنهض من شدة قوته، وكنت أصرخ وأترقب أن أرتطم بالهاوية إلا أنيّ بقيت أهوي دون أن أرتطم. وكل ما أريده الآن هو نهاية لهذا السقوط.

أيتها المرأة طوقي أرضكِ، إنهم الرجال، لا يعبرون أرضًا دون أن يحملوا بنادقهم فوق أكتافهم. لا تكوني الصيد الضائع في حلمٍ لا تفيقين منه.

وكم أحسستُ بالقوة حينها!

أعظم ما يمكن لكاتب فعله هو أن يكتب عن آلام الأخرين، أن يجعلها تمر فوق صدره وتخرج كما لو أنها وجعه. أن يعيش تعبًا لا يعني له، لكنه يتلذذ به، يشقيه ويصمد أمامه.

حين انتهيت من كتابة كل ما أخبرتني به عميّ، توقفت للحظة، أفكر بخاتمة جيّدة لرسالةٍ تلكأت عن كتابتها أيامًا طويلةً.

(لوجهك غوايةٌ كنت أجهلها).

يا من يقرأ أوراقي الآن، أنا لا أعرفك، وأنت قد تعرفني أو تجهلني، ولكني أطلب منك شيئًا واحدًا فقط، في حال أنك وجدت دفتري هذا ولم تعرف مكاني، أن تسعى لأن يصل لتلك الواحدة التي لن يفهم كلماتي غيرها، والتي لم أكتب يومًا لسواها.

لها عينان تختطفان الحزن وتغربله حتى يغدو فرحًا إن نظرت إليها. إن لوحت بكفها رأيت علامة جمال استقرت عليها، وإن تحدثت أدركت أن لا أحد يستحق أن يقرأ كلّ هذا ما عداها. شقية كأنما خلقت لتختزل متعة الدنيا في مشاكستها، وودودةٌ كزهرة تنحني لتحيّيك كلما عبرت بجانبها.

وضعت لك عنوانها على دفة الدفتر الأمامية.

أرجوك أخبرها أني كتبت لها، وأني أحبّها.